

العنوان:	الإجرام و المجرمون في ضوء القرآن الكريم
المؤلف الرئيسي:	الفكي، إسماعيل الفكي الرفاعي
مؤلفين آخرين:	محمد، أبراهيم أحمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2005
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 130
رقم MD:	561719
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم ، تفسير القرآن ، المجرمون ، ألفاظ القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/561719

الباب الأول

سمات المجرمين

ويشتمل علي : تمهيد وفصلين

الفصل الأول : الاستكبار علي الحق

الفصل الثاني : معاداة الأنبياء والسخرية من المؤمنين

الفصل الأول

الاستكبار علي الحق

تمهيد :

تعريف الكبر في اللغة والشرع (الكبر والتكبر والاستكبار تتقارب ، فأكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يري الإنسان نفسه أكبر من غيره وأعظم التكبر والتكبر علي الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة.

والاستكبار يقال علي وجهين وأخذها : أن يتحري الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً وذلك متى كان علي مايجب فمحمود والثاني : أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له وهذا هو المذموم وعلي هذا ما ورد في القرآن الكريم كقوله تعالي : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)⁽¹⁾.

والتكبر يقال علي وجهين ، أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائداً علي محاسن غيره وعلي هذا وصف الله تعالي نفسه : بالمتكبر قال تعالي : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)⁽²⁾.

والثاني : أن يكن متكلفاً لذلك متشعباً وذلك في وصف عامة الناس نحو قوله تعالي : (فبئس مثوى المتكبرين) .

(1) سورة البقرة آية ٣٤

(2) سورة الحشر آية ٢

ومن وصف بالتكبر علي الوجه الأول فمحمود ، ومن وصف به علي الوجه الثاني فمذموم⁽¹⁾.

أما (الكبير في صفة الله تعالي العظيم الجليل والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده والكبرياء عظمة الله ويقال كبر بالضم أي عظم فهو كبير ابن سعيده الكبر نقيض الصغير ، والاستكبار الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً والكبر الإثم الكبير وما وعد الله عليه النار)⁽²⁾.

أما الكبر في الشرع هو بطر الحق وغمط الناس كما عرفه الرسول صلي الله عليه وسلم في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه النبي صلي الله عليه سلم قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) قال رجل إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ولعله حسنة قال : (إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس)⁽³⁾.

وقال الإمام النووي⁽⁴⁾ .

(1) المفردات في غريب القرآن ، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٢-٥٥هـ) تحقيق وضبط ، محمد سعيد كيلاني ، ماجستير من كلية آداب جامعة القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، محمود نصار الحلبي وشركاؤه ، الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ، ١٩٦١م ، ص ٤٢١-٤٢٢

(2) لسنا العرب لأبن منظور ، جمال الدين محمود بن مكرم الإنصاري ٦٣٠هـ - ٧١١هـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبناء والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة الجزء السادس ص (٤٣٩-٤٤٣)

(3) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، ص ٩٣ ، ج/١ ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .

(4) هو أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي دمشقي ولد سنة ٦٣١هـ ، هو إمام مشهور محقق شافعي صاحب المجموع شرع المذهب ، شرح مسلم رياضي الصالحين ، توفي سنة ٦٧٦هـ انظر مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي

في الحديث (فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف ، وهو الارتفاع علي الناس واحتقارهم ودفح الحق)⁽¹⁾.

والاستكبار علي الحق من سمات المجرمين ، يقول أبو جعفر عن المجرمين (هم الذين أجزموا فاكسبوا الذنوب واجترحوا السيئات)⁽²⁾.

ولهذا لا يدخل المجرم الجنة بسبب الاستكبار علي الحق كما في الحديث عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (لا يدخل النار أحد في قبله مثقال حبة خردل من إيمان ، ولا يدخل الجنة أحد في قبله مثقال حبة خردل من كبرياء)⁽³⁾.

والكبر يكون من الرؤساء والعظماء لأنهم أقدر علي الفساد من غيرهم كما قال القرطبي (وقيل الأكابر هم الرؤساء والعظماء وخصهم بالذكر لأنهم أقدر علي الفساد والمكر والحيلة في مخالفة الاستقامة وأصله القتل ، فالمكر يقتل عن الاستقامة أي يصرف عنها ووبال مكرهم راجع اليهم وهو من الله عز وجل الجزاء علي مكر المكربن بالعذاب الأليم)⁽⁴⁾.

(1) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المتوفي سنة ٦٧٦هـ المسمي المنهاج شرح صحيح بن الحجاج ، تحقيق الشيخ خليل مامون شحا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م الأجزاء (١-٢) ص ٢٧٥

(2) تفسير الطبري المسمي جامع البيان ، في تأويل القرآن ، المجلد الخامس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان لابي جعفر محمد جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠هـ ، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ص ٣٨٦

(3) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تخريم الكبر وبيانه ، ص ٩٣ / المجلد الأول ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الطباعة سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)

(4) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفي سنة (٦٧١هـ - ١٢٧٣م) الناشر مؤسسة مناهل المجلد الرابع ، ج ٧ ، ص ٧٩

كما في قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)⁽¹⁾ .

وهذا المكر من المجرمين يكون الغرور وبالباطل كما قال أبو جعفر ⁽²⁾ في الآية (ليمكروا فيها) بغرور من القول أو بباطل الفعل ، بدين الله تعالى وأنبيائه وما يحيق مكرهم ذلك إلا بأنفسهم⁽³⁾ . ومن سمات المجرمين عند نزول الآيات رفضها وعدم الإيمان بها كما في قوله تعالى : (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ)⁽⁴⁾ .

قال الإمام القرطبي في تفسير الآية السابقة (بين شيئاً آخر من جهلهم ، وهو أنهم قالوا لن نؤمن حتى تكون أنبياء فتوتي مثل ما أوتي موسى وعيسى من الآيات ، وقال الوليد بن المغيرة : لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك سناً ، وأكثر منك مالاً وقيل لم يطلبوا النبوة ولكن قالوا لانصرنك حتى يأتينا جبريل والملائكة يخبروننا بصدقك)⁽⁵⁾ .

(1) سورة الأنعام الآية ١٢٣

(2) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ، الخزرجي الأندلسي ، القرطبي المعشر من مصفاته : شرح أسماء الله الحسني ، وكتاب التذكرة بأمر الآخرة وله كثير غير ذلك ، توفي سنة ٦٧١ هـ ، من كتاب التفسير والمفسرين ، تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي ، ج ٢ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٤٥٧

(3) تفسير الطبري ، المجلس الخامس ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ص ٣٣٣

(4) سورة الأنعام الآية ١٢٤

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المجلد الرابع ، ج ٧ ، ص (٧٩ - ٨٠) الناشر مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، توزيع مكتبة العزلي ، دمشق .

وذكر الله تعالى سمة من سمات المجرمين وهي الاستكبار عندما يقال لهم لا إله إلا الله ، كما في قوله تعالى : (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)⁽¹⁾ .
وذكر المقر ابن كثير حالهم ⁽²⁾ عند الشهادة فقال (إنهم كانوا في الدار الدنيا يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون)⁽³⁾

ومن صفات المجرم الفقير الاستكبار كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يذكهم قال أبو معاوية ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم ، شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر)⁽⁴⁾ .

ومن صفات المجرمين الافتخار علي غيرهم بما أنعم الله عليهم من النعم كما في قوله تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)⁽⁵⁾ .

(1) سورة الصافات الآية ٣٥

(2) هو الإمام الجليل الحافظ ، عماد الدين أبو العزاء إسماعيل بن عمر كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي ، الفقيه الشافعي ، وكان مولده سنة ٧٠٠هـ أو بعدها بقليل وتوفي سنة ٧٧٤هـ ، التفسير والمفسرون ، تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي الجزء الأول ، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة . الطبعة السادسة ١٤١٦هـ : ١٩٩٥م ص (٢٥٢ - ٢٥٣)

(3) تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين المتوفي سنة ٧٧٤هـ الناشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج ٤ ، ص ٥ ، الطباعة (١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م)

(4) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان غلط تحريم أسبال الأزار والمن ، بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يذكهم ولهم عذاب أليم ، ج ١ ، ص (١٠٢-١٠٣)

(5) سورة النساء الآية (٣٦)

قال أبو جعفر (1) (وأما الفخور فهو المفتخر علي عباد الله بما أنعم الله عليه من آلائه وبسط له من فضله ولا يحمده علي ما آتاه من طوله ولكنه به مختال مستكبر ، وعلي غيره به مستطيل مفتخر)(2).

ومن حالهم أيضاً النكوص علي الأعقاب كقوله تعالي : (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِبُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ)(3).

قال ابن كثير عن المجرمين (إذا دعيتم أبيتم ، وإن طلبتم امتنعتم) (4) ثم ذكر الله حالة للمجرمين بقوله تعالي : (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ) يقول ابن كثير في تفسيره (في تفسير مستكبر قولان الأول حين نكوصهم عن الحق وإبائهم وإبائهم ايه استكبارا والثاني مستكبرين بالبيت الحرام يفتخرون به ويعتقدون انهم اوليائهم وليسوا به)(5).

وذم الله فعل المستكبرين كما قال ابن كثير (ذموا لانهم كانوا يسمرون فيه_اي الحرم_بالهجره من الكلام انه سحر انه شعر انه كهانه إلى غير ذلك من الاقوال الباطله .

(1) هو أبو جعفر بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الطبري ، الإمام الجليل ، المجتهد المطلق ، صاحب التصانيف المشهورة ، وهو من أهل أمل طبرستان ، ولد سنة ٢٢٤هـ ومات سنة ٣١هـ ، التفسير والمفسرون ، تأليف الدكتور محمد حسين الذهب الجزء الأول الناشر ، مكتبة وهبة القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ص ٢١٥

(2) تفسير الطبري ، المجلد الرابع ، ص ٨٧ ، دار المكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

(3) سورة المؤمنون الآيات ٦٦ ، ٦٧

(4) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م ، ج ٣ ، ص ٢٤٩

(5) نفس المصدر السابق ص ٢٤٩

وقيل كانوا يذكرون محمد صلى الله عليه وسلم فى سمرهم بالاقوال الفاسده
ويضربون له الأمثال الباطلة من انه شاعر او كاهن اوساحراو كذاب أو مجنون (1).
ومن أمثلة المجرمين المستنكرين علي الحق إبليس قال الله تعالى فيه : (وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (2).
وذلك عندما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام امتنع عن
السجود ، يقول ابن كثير (فسجد الملائكة كلهم أجمعين إلا إبليس أبي أن يكون مع
الساجدين ، أبي واستكبر وكان من الكافرين ، قال الله له ما منعكم أن تسجد إذ أمرتك
لما خلقت بيدي ؟ قال أنا خير منه لم أكن لا سجد لبشر خلقته من طين ، ثم جعل الله
إبليس من الصاغرين والصغار هو الذل) (3).

ومن الذين أجرموا واستكبروا علي الحق فرعون قال تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) (4).

ورفض فرعون الحق عندما أراه موسى عليه السلام الآية الكبرى كما ذكر ابن
كثير (يقول الله مخبراً عن فرعون أنه قال لموسى عليه السلام حين أراه الآية الكبرى
وهي إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيماً ونزع يدعه من تحت جناحه فخرجت بيضاء
من غير فقال هذا سحر جنئت به لتسحرنا وتستولي به علي الناس فيتبعونك وتكاثرنا
بهم هذا معك فإن عندما سحر مثل سحرك فلا يغرنك ما أنت فيه فأجعل بيننا وبينك

(1) نفس المصدر السابق ص ٢٤٩

(2) سورة النقرة الآية ٣٤

(3) تفسير القرآن العظيم ، لأبن كثير ، المجلد الأول ، صفحة ٧٦ ، الناشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان

١٣٨٨هـ-١٩٦٩م

(4) سورة يونس الآية ٧٥

موعداً أي يوماً تجتمع نحن وانت فيه فنعار في ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك قال لهم موسى عليه السلام موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيدهم ويزورهم وتفرعهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله علي ما يشاء ومعجزات الأنبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية⁽¹⁾.

ولما اجتمع الناس لذلك اليوم ألقوا السحرة حبالهم وعصيهم فأصبحت تسعي وسحروا أعين الناس قال ابن كثير (وكانوا جما عفيراً وجمعاً كثيراً فالقي كل منهم عصا وحبالاً حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضاً)⁽²⁾.

ثم ألقى موسى عليه السلام العصا فلقت ما صنعوا كما في قوله تعالى : (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجُوداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى)⁽³⁾.

ثم يواصل المجرم فرعون في تكبره وكفره ومكابرتة كما في الآية (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِئَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَصْلَبَّيْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى)⁽⁴⁾.

بقول ابن كثير (يقول الله تعالى مخبراً عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرتة الحق بالباطل حيث رأي ما رأي من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ورأي الذين قد استتصرهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبعث

(1) تفسير القرآن الكريم ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٥٦ ، الناشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م

(2) المصدر السابق ، ص ١٥٨

(3) سورة طه الآية (٦٩ - ٧٠)

(4) سورة طه الآية (٧١)

وعدل الي استعمال جاهة وسلطانه في السحر فتعهدوهم وتوعدهم وقال للسحرة إنما أخذتم السحر عن موسى واتقتم أنتم وإياه علي وعلي رعيتي لتظهروه⁽¹⁾.

ومن المجرمين المستكبرين علي الحق ، الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش وكان من خبره في هذا ماروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال دخل الوليد بن المغيرة علي أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج علي قريش فقال يا عجبنا لما يقول ابن أبي كبشة فو الله ما هو بشعر ولا يسحر ولا يهذي من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل هشام قال أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم نز الي قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال ألت أكثرهم مالاً وولداً ؟ فقال له أبو جهل يتحدثون أنك تدخل علي ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقد تحدث به عشيرتي ؟ فلا واللع لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما هو إلا سحر يؤثر⁽¹⁾.

فأنزل الله علي رسوله صلي الله عليه وسلم الآيات : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأَرْهَقُهُ صُعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ

(1) تفسير القرآن العظيم ، لأبن كثير ، ج ٣ ، ص ١٥٨ ، الناشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨هـ -

١٩٦٩م

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٤ ، ص (٤٤٢ - ٤٤٣) الناشر دار المعرفة ، بيروت لبنان ١٣٨٨هـ

يُؤْتِرُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُضْلِيهِ سَقَرًا * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا
تَذَرُ⁽¹⁾.

⁽¹⁾ سورة المدثر ، الآيات من (١١ - ٢٨)

الفصل الثاني

معاكاة الأنبياء والسخرية من المؤمنين

تمهيد : تعريف السخرية والهزاء في اللغة :

(سخر) يدل علي احتقار واستدلال من ذلك قولنا سخر الله عز وجل الشيء ، وذلك إذا ذلله لأمره وأرادته ، قال تعالى : (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض) ويقال رجل سخره : يسخر في العمل ، وسخره أيضا ، إذا كان يسخر منه فإن كان هو يفعل ذلك قلت سخره ، يفتح الخاء والراء ويقال سفن سواخر .

فالسواخر : المطبوعة الطيبة الريح ، والمواخر : التي تمخر الماء تشقه ومن الباب ، سخرت منه ، إذا هذئت به . ولا يزالون يقولون : سخرت به⁽¹⁾.

أما (الهزاء : الهدوا لما هو كالمزح ، فمما قصد به المزح قوله تعالى : (أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا)⁽²⁾.

عظم تبكيتهم ونبه علي خبثهم من حيث إنه وصفهم بأنهم بعد العلم بها والوقوف علي صحتها ويهزؤون بها .

واستهزأت به ، وتهزأت به أي هزئت والاستهزاء أيضاً ارتياد الهزاء ، وإن كان قد يعبر به عن تعاطي الهزاء .

كالاستجابة في كونها ارتياداً للإجابة وإن كان قد يجري مجري الإجابة⁽³⁾.

(1) معجم مقاييس اللغة لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، المجلد

الثالث ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١ ، ص ١٤٤

(2) سورة البقرة الآية ٦٧

(3) بصائر نو التميز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفي سنة

٨١٧هـ ، ج ٥ ، ص ٣٢٥ ، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

وقال تعالى : (وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَآيَاتِهِ
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)⁽¹⁾.

من سمات المجرمين معاداة الأنبياء والسخرية من المؤمنين ، ومن ذلك ما
حصل من المجرمين ضد إبراهيم عليه السلام عندما كسر أصنامهم التي كانوا يعبدونها
من دون الله يقول الله تعالى في ذلك : (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)⁽²⁾.
يقول الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير (وذلك أنهم يجمعون حطباً من جميع ما
يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر
لئن عوفيت لتحملن حطباً لحريق إبراهيم عليه السلام ثم عمدوا الي جوبه عظيمة
فوضعوا فيها ذلك الحطب واطلقوا في النار فأضطربت وتأججت زالتهب وعلاها شرر
لم ير مثله قط ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق ثم أخذوا يقيدون ويكتفونه
ثم ألقوا الي النار)⁽³⁾

ثم أنهم أنكروا إرسال الرسل من البشر وعادوهم كما في قوله تعالى : (قَالُوا مَا
أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)⁽⁴⁾.

ثم أنهموا الرسل بالنظير بالنظير في قوله تعالى : (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ
تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)⁽⁵⁾.

(1) سورة التوبة الآية ٦٥

(2) سورة الأنبياء الآية ٦٨

(3) البداية والنهاية للحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤هـ ، ج ١ ، مكتبة

المعارف بيروت الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

(4) سورة يس الآية ١٥

(5) سورة يس الآية ١٨

قال ابن كثير عن المجرمين الذين عادوا الرسل (تشامناً بما جئتمونا به ، ثم هددوهم بالرجم بالمقال وقيل بالفعل ويؤيد الأول قوله تعالى : (وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) فوعوهم بالقتل والإهانة ثم جاء من أقصي المدينة رجل يسعي لنصرة الرسل وإظهار الإيمان بهم ثم دعاهم الي عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن عبادة ما سواه مما لا ينفع شيئاً لا في الدنيا ولا في الآخرة بقوله تعالى : (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ) (1) .

قيل فاستمعوا مقالتي وأشهدوا لي بها عند ربكم وقيل معناه فاسمعوا يا قومي إيماني برسلك الله جهرة ، فعند ذلك قتلوه قتل رجماً وقيل عضا وقيل وتبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه (2) .

ومن المجرمين الذين عادوا الأنبياء كما قال ابن كثير (الملا من قوم فرعون وهم الأمراء والكبراء أنهم حرضوا ملكهم فرعون علي أذية بني الله موسى عليه السلام ومقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والأذي) (3) .

ومن المجرمين الذين عادوا الأنبياء بني إسرائيل كما في قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا

(1) سورة يس الآية ٢٥

(2) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ، ج ١ ، صفحة ٢٣٠ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ-١٩٩٠م

(3) البداية والنهاية ، الجزء الأول ، صفحة ٢٥٩ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ-١٩٩٠م

مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَصُرِبْتُمْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ⁽¹⁾.

يقول ابن كثير عن المجرمين في الآية : (أفضي بهم الحال الي أن قتلوهم فلا كفر أعظم من هذا ، أنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق ولهذا لما ارتكب بنوا إسرائيل ما ارتكبوا من الكفر بآيات اللع وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد وكساهم ذلاً في الدنيا موصلاً بذل الآخرة جزاء وفاقاً)⁽²⁾.

ثم يذكر ابن كثير عن سمات المجرمين فيقول : (ينعت تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة والاستكبار علي الأنبياء وأنهم إنما يتبعون أهواءهم فذكر تعالى أنه آتي موسى عليه السلام الكتاب وهو التوراة فحرفوها وبدلوها وخالفوا أوامرها وأولوها ، فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء وأسوا المعاملة وفريقاً يكذبونه وفريقاً يقتلونه وما زال إلا لأنهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبالإلزام بأحكام التوراة التي تصرفوا في مخالفتها ، فلذا كان ذلك يشق عليهم فكذبوهم وربما قتلوا بعضهم)⁽³⁾.

ولهذا قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)⁽⁴⁾.

(1) سورة النقرة الآية ٦١

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، قدم له الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي أستاذ التفسير بالمعهد العالي

للدراستات الإسلامية ، ج ٢ ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة التاسعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ص ١٠٢

(3) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م

(4) سورة النقرة الآية ٨٧

قال الذمخشري (1) في قوله تعالى : (فريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون) قلت : (هو علي وجهين ، أن نزاد الحال الماضية ، لأن الامر فطيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب ، وأن يراد وفريقاً تقتلونم بعد لأنكم تموتمون حول قتل محمد لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسمتم له الشاه)(2)

ومن سمات المجرمين الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى (وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْدَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ)(3).

يقول ابن كثير في الاية (يعني كفار قريش كابي جهل واشباه يستهزءون بك ونتقصونك يقولون اهذا الذي يسب آلهكم ويسفه أحلامكم وهم كافرون بالله ومع هذا يستهزءون برسول الله صلى الله عليه وسلم)(4). ومن الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حصل من سفهاء قريش قال ابن اسحاق (ثم إن قريشا اشتد امرهم للشقاء الذي اصابهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة

(1) هو أبو القاسم : محمود بن عمر بن محمد عمر الخوارزمي ، الإمام الحنفي المعتزلي ، الملقب بجار الله ، ولد

سنة ٤٦٧هـ ، وتوفي سنة ٥٣٨هـ ، التفسير والمفسرون : تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي ، ج ١ ، الناشر

مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م ، ص ٤٣٧-٤٣٨

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف ابي القاسم جار النبي محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) . المجلد الأول . صفحة ١٦٣ . رتبته وضبطه وصححه محمد بن السلام شاهين . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م .

(3) سورة الأنبياء . آية رقم ٣٦

(4) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ت الجزء الثالث . صفحة ١٧٨ . دار المعرفة . بيروت . لبنان ١٣٨٨هـ -

١٩٦٩م .

والجنون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله⁽¹⁾ وأكثر ما نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادوا قتله كما قال بن اسحاق (حدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، قال قلت له ما أكثر ما رأيت قريش أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته؟ قال : حضرتهم ، وقد أجمع أشرفهم يوماً في المحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشم أباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ن أو كما قالوا : فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى أستلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم عمزوه ببعض القول فعرفت ذلك من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ، ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية عمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مر بهم الثالثة فعمزوه بمثلها ن فوقف ثم قال : أتسمعون بالذبح يا معشر قريش ن أما والذي نفسي بيده ن لقد جئتكم بالذبح ، قال : فأخذت القوم كلمته حتي ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتي إن أشدهم فيه وصاه قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتي إنه ليقول : أنصرف يا أبا القاسم ، فو الله ماكنت جهولاً . قال فأنصرف رسول الله ، حتي إذا كان الغد أجمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكر ثم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتي إذا باداكم

(1) السيرة النبوية . لابن هشام - حقيقتها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا وإبراهيم الانباري وعبد الحفيظ شلبي . القسم الأول الجزء الأول ص ٢٨٩ . الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

بما تكرهون تركتموه . فينماهم في ذلك طلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ن فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذي أقول كذا . قال : فلقد رايت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه قال : فقال أبوبكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلاً أن قال ربي الله ؟ ثم أنصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريش نالوا منه قط⁽¹⁾.

وذكر ابن هشام عن المشركين ما نالوه من رسول فقال (حدثني بعض اهل العلم أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه احد من الناس إلا كذبه وأداه ، لا حر ولا عبد ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي منزله ، فتدثر منه شدة ما أصابه)⁽²⁾.

وقد انزل الله في ابي لهب سورة كاملة لأنه أعلن البغض ونصب العداوة ضد النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ابن هشام (فجعلت قريش حين منعه الله منها ن ما أرادوا من البطش به ، يشهزونه ويستهزئون به يخاضمونه ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، وفيمت نصب العداوة منهم ، من سمى لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبدالمطلب وأمراته أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الحطب ، وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب ، لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق

(1) السيرة النبوية . لابن هشام . حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا الاستاذ بكلية الآداب . جامعة القاهرة . إبراهيم الانباري مدير إدارة احياء التراث القديم . عبد الحفيظ شلبي مدير المكتبات الفرعية بدار الكتب المصرية . القسم الأول : الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . صفحة (٢٧٩-٢٩٠).

(2) المصدر السابق . صفحة ٢٩١.

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر⁽¹⁾ فأنزل الله تعالى فيها وفي زوجها قوله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)⁽²⁾.

ولقد استمر العدا للرسول من المجرمين ومنهم الوليد بن المغيرة وأميه بن خلف وابو جهل بن هشام كما قال بن اسحاق (ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني بالوليد ابن المغيرة وأميه بن خلف وبأبي جهل بن هشام ن فهمزوه واستهزئوا به ، فغاضه ذلك)⁽³⁾.

ومن السخرية بالمؤمنين ما حصل من أبي جهل عندما حاول رد وفد النصارى الذي أسلموا ، قال بن اسحاق (ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة ، عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى ، حيث بلعهم خيرة من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أندية حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله عما أرادوا ، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي الله عز وجل وثلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت اعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله ، وأمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه أعرث فيهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم خيبكم الله من ركب أبعثكم من وراءكم من أهل دينكم تترتا دون لهم لتأتون بخبر رجل ،

(1) المصدر السابق . صفحة (٣٥٤-٣٥٥).

(2) سورة المسد .

(3) السيرة النبوية . لأبن هشام . صفحة (٣٩٥-٣٩٦)

فلم تطمئن مجالسكم عنده حتي فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركبا أحقق منكم⁽¹⁾.

ومن العداة للمؤمنين ما حصل من ذي نواس المجرم كما ذكر بن هشام فقال :
(فسار إليهم ذو نواس بجنوده ، فدعاهم إلي اليهودية ، وخيرهم بين ذلك والقتل ، فأختاروا القتل ، فخذ لهم إلا حدود ، فحرق من حرق بالنار ، وقتل بالسيف ومثل به حتي قتل منهم قريبا من عشرين ألفاً)⁽²⁾. ففي ذي نواس وجنده أنزل الله تعالى قوله :
(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)⁽³⁾. قال بن كثير في الآيات (لعن أصحاب الاخدود وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض وهذا أخبر عنه قول من الكفار عمدوا إلي من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهر وأرادهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدود وأحجبوا فيه نارا وأعدوا لها وقوداً ويسهاعر ونهاية به ثم أرادوا فلم يقبلوا منهم فقد فوهم فيها)⁽⁴⁾.
ومن المجرمين قدار بن سالف وهو الذي أنزل الله تعالى فيه (إِذْ انبَعَثَ أَشْقَاهَا)⁽⁵⁾.

(1) المصدر السابق . صفحة ٣٩٢ .

(2) المصدر السابق ، ص (٣٥ - ٣٦)

(3) سورة البروج . الآيات (٤-٨) .

(4) تفسير القرآن العظيم للعماد بن كثير الجزء الرابع . صفحة ٤٩٢ . دار المعرفة . بيروت . لبنان . (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩) .

(5) سورة الشمس . آية رقم ١٢ .

والذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم كما في البخاري⁽¹⁾ عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذ أنبعث أشقاها) أنبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة⁽²⁾.

وقد قال ابن كثير عن قرار بن سلاف (أشقي القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحмир ثمود وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم شريفاً في قومه نسبياً رئيساً مطاعاً)⁽³⁾.

ومن سمات المجرمين السخرية بالصلاة فقد قال تعالى عنهم (وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)⁽⁴⁾. قال أبو جعفر يقول تعالى : (ذكره وإذن أذن مؤذنكم ، أيها المؤمنون ، بالصلاة ، سخر من دعوتكم إليها هولاء الكفار من اليهود والنصارى والمشركين ، ولعبوا من ذلك ، وفعلهم الذي يفعلونه ، وهو هزؤهم ولعبهم من الدعاء إلي الصلاة ، أنما يفعلونه بجهلهم بربهم ، وأنهم لا يعقلون ما لهم في إجابتهم أن أجابوا إلي الصلاة ، وما عليهم في استهزائهم ولعبهم بالدعوة إليها ، ولو عقلوا ما لمن فعل ذلك منهم عند الله من العقاب ما فعلوه ، وعن اسباط ، عن

⁽¹⁾ هو الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة بن الاحنف الجعفي البخاري . ولد سنة ١٩٤ هـ ببخارى . صاحب الجامع الصحيح توفي سنة ٢٥٦ هـ . أنظر تهذيب التهذيب (٤٧/٩).

⁽²⁾ صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري كتاب التفسير . دار السلام للنشر والتوزيع . الرياض الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧) - صفحة ١٠٧١

⁽³⁾ تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل ، الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء الناشر : دار المعرفة . بيروت . لبنان . ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م الجزء الرابع . صفحة ٥١٧ .

⁽⁴⁾ سورة المائدة آية رقم ٥٨ .

السري كان رجل من النصاري بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي (أشهد أن محمداً رسول الله) قال (حرق الكاذب)!

وقد خلت خادمة ذات ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت ، فأحترق هو وأهله⁽¹⁾.

يقول الله تعالى عن المجرمين مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَأَيُّخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ)⁽²⁾. قال أبو جعفر فيها : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم أياه لعباً ولهواً ، فجعلوا حظوظهم من طاعتهم أيان اللعب بآياته ، واللهو والاستهزاء بها إذ أسمعوها وتليت عليهم ، فأعرض عنهم ، فإني لهم بالمرصاد ، وأني لهم من وراء الانتقام منهم العقوبة لهم على ما يفعلون ، وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا ، ونسيانهم المعاد الي الله تعالى ذكره والمصير اليه بعد الممات⁽³⁾).

ومن سمات المجرمين السخرية بحج الله ودلائل نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لقوله (وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ)⁽¹⁾. يقول الطبري فيها (وإذا رأوا حجة من حجج الله عليهم ، ودلالة على نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

(1) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، المجلد الرابع ت صفحة ٦٣١ دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هـ الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

(2) سورة الأنعام . أية رقم ٧٠.

(3) تفسير الطبري . المجلد الخامس . صفحة ٢٢٨.

(1) سورة الصافات الآيات (١٣-١٤).

يسخرون ويستهزءون)⁽²⁾. ومن سماتهم أيضاً الضحك والسخرية بالقرآن الكريم لقوله تعالى (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَتَّبِعُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَتَّبِعُونَ)⁽³⁾. يقول ابن كثير عن حالهم مع القرآن (أنهم يضحكون منه استهزاء وسخرية ولا يكون كما يفعل الموقنون به)⁽⁴⁾. ومن سمات المجرمين السخرية من المؤمنين كقوله تعالى : (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)⁽⁵⁾.

يقول ابن كثير فيها (ثم أجز تعالى عن تزينه الحياة الدنيا للكافرين الذين رضوا بها وأطمأنوا إليها وجمعوا الأموال ومنعوها عن مصارفها التي أمروا بها مما يرضي الله عنهم وسخروا من الذين آمنوا الذين أعرضوا عنها وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم وبذلوه إبتغاء وجه الله فلهذا فازوا بالمقام الأسعد والحظ والأوفر يوم معادهم فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومنشرهم وميسرهم وما واهم فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين وخذ أولئك في الدرجات في أسفل السافلين)⁽⁶⁾

قال الله تعالى عن المجرمين (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ)⁽¹⁾. يقول ابن كثير في هذه الآيات (يخبر تعالى

(2) تفسير الطبري . المجلد العاشر (٤٧٦-٤٤٧).

(3) سورة النجم الآيات (٥٩-٦١).

(4) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير . الجزء الرابع . صفحة ٢٦٠.

(5) سورة البقرة آية رقم ٢١٢.

(6) تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي

سنة ٧٧٤هـ الناشر دار المعرفة . بيروت . لبنان . الجزء الأول ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩ . صفحة ٢٤٩ .

(1) سورة المطففين الآيات (٢٩ - ٣٣)

عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي يستهزءون بهم ويتقرونهم ، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرين لهم وإذا أنقلب أي رجع هؤلاء المجرمين إلي منازلهم أنقلبوا إليها فاكهين أي مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل أشتعلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسدونهم ويصفوهم بالضلال لكونهم على غير دينهم.